خطبة صلاة الجمعة 17/ 1/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(التواصل اللفظي بين الأزواج)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1]، قال ابن كثير: يهدي إلى الرشد أي يهدي إلى السداد والنجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10]، قال المفسرون: معنى قوله: هيئ لنا من أمرنا رشداً: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَشَد والرُشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئا».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة الثانية عشرة في سلسلة **(دليل إرشادي)**، تتناول كلُّ خطبةٍ منها مشكلةً اجتماعيةً أسريةً أو ماليةً أو أخلاقيةً وقع فيها عدد منا، وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتقدم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى تعينه على تبصر طرق الحل، وتمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزة تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة؛ لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنة والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **(التواصل اللفظي بين الأزواج)**

المسألة:

متزوجة من سبع سنوات، لم يرزقنا الله بمولود إلى الآن، زوجي كثير الصمت في البيت، إذا بدأت حديثاً معه اشتدّ وغضب وأنهى الحديث.

منذ أشهر تعرف على صديق جديد وراح يخرج معه بعد العمل يتسامران ليعود إلى البيت في ساعة متأخرة، أرسل له برسائل خلال النهار فلا يجيب، وإذا هاتفتُه أنهى المكالمة سريعاً بقسوة.

طالبته بالعود باكراً لنجلس معاً كل يوم نتحدث ونتشاور، فاستخف بي. وقال: إنه لا يعرف بماذا يحدثني.

أتعبتْني وحدتي وأتعبني بعدُه عني وجفاه، ولازمني البكاء وتمادى إلى مرض، أبحث عن مودة وسكن، أخاف على زوجي وبيتي، فماذا أفعل، أرشدوني؟!.

الدليل الإرشادي:

في الدليل ثلاث فقرات: أثر التواصل اللفظي في استقرار الحياة الزوجية، الاختلافات الفطريَّة بين الرَّجل والمرأة في الكلام، ومجالات الحوار بين الزوجين.

أولاً: أثر التواصل اللفظي في استقرار الحياة الزوجية:

تكتب مرشدةٌ أسريَّةٌ في بحثٍ علميٍّ: صمتُ الزَّوج الدَّائم والمستمر وغموضه هو من أكثر الشَّكاوى التي تَرِد عليَّ من الزَّوجات في الجلسات العلاجيَّة.

وإن حالات كثيرة من الانفصال تكون بسبب معاناة الزَّوجة من عدم تعبير الزَّوج عن عواطفه لها، ومن عدم وجود حوارٍ يربط بينهما.

يقتل الصَّمت المرأة وترَاه تعبيراً عن الاستغناء عنها من جهةٍ، وليست على مستوى الحديث والمفاهمة من جهةٍ أخرى.

وقد تبدأ المرأة الصَّمت ولكنَّها تبقى قلقةً لعدم مبادرة الزَّوج لفتح باب الحوار.

ثمَّ إنَّ للصَّمت أثره السَّلبي على الأطفال، فالطِّفل الذي ينشأ في أسرةٍ يغيب فيها التَّواصل الكلامي قد ينشأ انطوائياً يصعب عليه إقامة علاقاتٍ مع الآخرين.

ثمَّ أمرٌ خطيرٌ جداً يجب التَّنبه له، وهو لجوء كلا الزَّوجين إن دام الصَّمت بينهما إلى شخصٍ ثالثٍ خارج العلاقة الزوجيَّة لمناقشة همومه ومشكلاته.

يقول مستشارو العلاقات الأسريَّة: إنَّ الاتصال النَّاجح -اللفظي وغير اللفظي- من أهم عوامل نجاح العلاقة الزوجيَّة، وتتراكم مشاعر الغضب والعداء عند قطع هذا الاتصال.

يعلِّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث إلى الزَّوجات، فتراه -صلوات ربِّي وسلامه عليه- يسرُّ إليهنَّ حديثاً مرَّةً، ويحدِّثهن بما يحدِّث به النَّاس مرَّةً أُخرى، ويخصُّهنَّ بحديثه من دون النَّاس ثالثةً، ويشكو إليهنَّ ما يجده من النَّاس رابعةً، وهكذا تقرؤون في كُتب الحديث أحاديث ترويها زوجات النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وربَّما لم يروِ بعضها عنه صلى الله عليه وسلم غيرهنَّ، وكأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم خَصَّهُنَّ بالكلام من دون النَّاس، بل إنَّ علماء الحديث يذْكُرُون أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المكثرين من الصِّحابة في رواية الحديث عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

وفي الصَّحيحين حديثٌ طويلٌ جداً، تخبر به أمُّ المؤمنين عائشة الصِّديقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمرٍ جرى في الجاهليَّة، فيَستمع إليها استماعاً فعَّالاً يغريها بمتابعة القول، إنَّه حديث أم زرع مطلعه: «جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيئًا». ثمَّ سردت أخبار النِّسوة، وقد ترجم له البخاري بقوله: (بَابُ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ).

كلُّ هذا دعمٌ للاتصال اللفظي بين الزَّوجين وكسرٌ لحاجز الصَّمت الرَّهيب.

ثانياً: الاختلافات الفطريَّة بين الرَّجل والمرأة في الكلام:

لكي يتفهم كلّ زوج حاجة زوجته إلى كلامه، ولا يتضجر من كثرة كلامها، ولكيلا تفسر كلُّ زوجة قلّة كلام زوجها تفسيراً سلبياً، أضع بين أيديكم هذه المعلومات:

- الرَّجل يُجمل في الكلام، والمرأة تُفصِّل.
- الرَّجل يختصر في الكلام، والمرأة تُسْهِب.
- الرَّجل راحته في عدم الكلام، والمرأة راحتها في الكلام.
- الرَّجل يميل للحديث عن عمله، والمرأة تميل للحديث عن نفسها وأسرتها.

- الرَّجل يُعَبِّر عن إعجابه بالنَّظر والإيحاء، والمرأة تُعَبِّر عن إعجابها بالكلام.

- الرَّجل إجماليٌّ ينظر إلى الكلِّ وقليلاً ما يهتم بالجزء، والمرأة تنظر إلى الكلِّ والجزء ولذا تسرد التَّفاصيل.

- يتردَّد في كلام الرَّجل الأجوبة المغلقة: (نعم-لا)، والمرأة يتردَّد في كلامها الأجوبة المفتوحة: في السَّاعة السَّابعة والنِّصف وخمس دقائق، وبينما كنت أُعيد ترتيب المنزل رنَّ الهاتف وحدث كيت وكيت...

- الرَّجلُ الكلامُ عنده وسيلةٌ للوصول إلى هدفٍ محدَّدٍ، والمرأة كلامها وسيلة للتَّواصل وحَسْب.

- قدرة الرَّجل الكلاميَّة تساوي ثلث قدرة المرأة.

- الفتيات يبدأن بالكلام قبل الصِّبيان، وحتَّى سِن الخمس سنواتٍ تتفوَّق الفتيات بعدد الكلمات على الذُّكور، واضطرابات النُّطق عند الصِّبيان أكثر منها عند البنات.

علماً أنَّ هذه الأحكام أغلبيةٌ، ومرادي من عرضها أن يُراعي كلُّ زوجٍ زوجته، وأن تَعْذُرَ كلُّ زوجةٍ زوجها.

ثالثاً: مجالات الحوار بين الزوجين:

هذه أربعة مجالات كبيرة يمكن لكلا الزوجين أن يختارا منها ما يناسبهما ليتحاورا به، وينوعان الحوار مرة بعد مرة.

1- الحوار الشخصي: فالحديث عن التجارب اليومية والمشاعر الخاصة والأفكار والتصورات وماضي الحياة الخيّر وآمال المستقبل؛ أهم مجالات الحوار بين الزوجين ومن شأنه أن يحافظ على التفاهم الزوجي والمعرفة الزوجية.

ويبدو أن الحوار الشخصي حيث يخبر أحد الزوجين الآخر عن تفاصيل يومه والأحداث التي مرت به ومشاعره كان له النصيب الأكبر من الرضا عن الحياة الأسرية بين الأزواج.

2- القرارات والخطط: يعتبر اتخاذ القرارات المنفرد واحداً من الإجراءات التعسفية التي تقود الزواج إلى النفق المظلم، قد لا يكون للطرف الآخر رأي مغاير بالضرورة، وقد لا يمتلك الحكمة اللازمة للمشاركة بالقرار أو التخطيط، لكن مجرد تجاهله تجعله حساساً وحزيناً.

لذلك فإن الحوار حول الخطط المستقبلية والقرارات العادية والمصيرية يعتبر حواراً بنَّاءً وممتازاً يقود العلاقة الزوجية إلى المزيد من الاستقرار.

3- الحوارات التربوية: تربية الأطفال وتخطيط مستقبلهم واختيار المدرسة وتأمين الرعاية الطبية ومواجهة المراحل العمرية الحساسة أو السلوكيات الغريبة أو حتى المنحرفة.

4- حوار الأزمات: سواء الأزمات الشخصية مثل قلة ذات اليد أو التوتر والقلق أو الأزمات الصحية أو الأزمات العائلية مثل الملل الزوجي والمشكلات الأسرية، أو الأزمات العامة الاقتصادية أو الدينية أو الخلقية. هذه الحوارات تساعد الأطراف على تفهم الطرف الآخر وتفهم المشكلات أكثر والقفز فوقها بيسر.

فهذه أربعة أنواع من الحوار يمكن لكل من الزوجين بدء الحديث مع الطرف الثاني بها.

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخت صاحبة المسألة وشبهها من النساء: لعل ضعف التواصل اللفظي بينك وبين زوجك، وخروج زوجك إلى صديق خارج البيت يحدثه سببُه رتابة الحياة الزَّوجية وعدم تجديدك فيها، ولعل زوجك قليل الكلام منذ طفولته، فابذلي جهداً لكسر الروتين بينكما ولتعزيز الحوار عنده فيما يهتم له ويحبه.

ونقول للزوج أعطِ أهل بيتك حقهم من وقتك، وتفهّم حاجتهم للكلام معك ومجالستك، وخصص شيئاً من وقتك كل يوم لتكون معهم، فإن التواصل اللفظي بينكما من أهم ما يحمي بيتكم ويمتن العلاقة بينكما.

ختاماً – أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**.

والحمد لله رب العالمين